المصدر: العربى
التاريخ : ٢٣ يونيو ٢٠٠٢

أكرم القصاص يرصد جديد التقرير الاستراتيجى العربى

عالم ما بعد ١١ سبتمبر أكثر أمريكية!

■ الولايات المتحدة استغلت الأحداث وخرقت القانون الدولى والإنسانى
■ خلط متعمد بين المقاومة والإرهاب ■ التيارات الإسلامية اتجهت من العنف إلى السياسة ومازال أمامها الكثير

قبل أيام صدر التقرير الاستراتيجى العربى عن مؤسسة «الأهرام»، والذى استمر صدوره منذ عام ١٩٨٥ بهدف تقديم حصاد استراتيجى للأحداث الدولية والاقليمية وتأثيراتها على الواقع العربى سلبا او ايجابا، تقرير هذا العام يصدر بإدارة تحرير جريدة، وأول ما يلفت النظر فيه منذ اللحظة الأولى الإخراج والتصميم الفنى الخارجى والداخلى المتميز والذى منحه مزيدا من الجاذبية التى جمعت بين الرصانة والتجديد.. وبدا فيه الجهد الكبير الذى بذله الفنان الكبير حامد العويضى، ويستحق الشكر عليه.

وهناك عدة أمور لافتة للنظر فى تقرير هذا العام، أولها ان التقرير صدر خلال شهر يونيو بعد ٦ أشهر من بداية العام بينما الأحداث والمعالجات تتوقف عند نهاية عام ٢٠٠١، الأمر الذى قد يحدث لبسا على القارئ، الذى يشعر فى بعض المناطق أن الأحداث تجاوزت ما يقدمه التقرير، مع الاعتراف بأن فريق التقرير نجح إلى حد كبير فى تركيز المعالجات خاصة فيما يخص الانتفاضة والصراع العربى الإسرائيلى، الذى تغيرت أشكاله وتصاعدت سخونته دون أن تتغير مضامينه، الصراع مستمر والطريق المسدود أيضا. وجاءت المعالجة مصاحبة للأحداث باستثناءات قليلة.

ونفس الأمر فى التفاعلات الاقليمية التى بالرغم من كثرة التفاصيل التى جرت فيما بعد نهاية العام الماضى، ظلت الأوضاع كما هى تقريبا.. وامتاز الجزء الخاص، بالحركة الإسلامية والإسلام والمسلمين ومستقبل الجماعات الإسلامية مركزا وأمسكت برؤية واضحة للأحداث، ونفس الأمر فيما يخص التفاعلات الاقليمية والصراع العربى الإسرائيلى، والنظام الاقليمى العربى، بقضاياه الساخنة.

ويستحق فريق التقرير برئاسة تحرير الدكتور حسن أبو طالب الشكر على الجهد الكبير المبذول فيه، والذى أدى إلى خر وجه بشكل بحثى متعمق تعامل مع أغلب المتغيرات وخلا من الخطابية والتوسع فى الرأى مثلما جرى فى سنواته الأخيرة.

ومنذ السطر الأول حتى السطر الأخير تفرض على القارئ أحداث ١١ سبتمبر، والهجوم لانتحارى بالطائرات على واشنطن ونيويورك، وهو الحدث الذى اختصر أحداث العام ٢٠٠١، فى أربعة أشهر فقط نسيت الدنيا ما قبلها وما بعدها.

وكان عالم ما قبل سبتمبر غيره بعدها ويصعب على أحد أن يتوقف عند حدث فى العالم قبل يوم ١١ سبتمبر، ولذلك أطمأن فريق التقرير إلى اعتبار الأحداث مركز الحدث العالمى الذى تمركزت حوله دوائر أخرى تأثرا به.

وجاء تأثير الحدث على العالم من حيث تهميش دور الأمم المتحدة والمنظمات الدولية لصالح القرار الأمريكى والانحياز لصالح الرغبات الأمريكية، والعدوان على الأبرياء بدعوى مكافحة الإرهاب بلا قرائن واضحة. ثم الخلط المتعمد بين حق مقاومة الاحتلال وبين الإرهاب، ومحاولة نزع صفة الإرهاب والعنصرية عن العدوان الإسرائيلى وإسباغ صفة الإرهاب على المقاومة الفلسطينية، كما تجاوزت «التدخلية الأمريكية الجديدة» فى العالم التدخلات السابقة بدعاوى إنسانية فى كوسوفا والبوسنة وغيرها، بعيدا عن الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وتطور مع أحداث سبتمبر لتقوم الولايات المتحدة بتدخل عسكرى للقضاء على ما تعتبره بالإرهاب فى افغانستان أو إعلان نيتها فى تغيير الحكم فى العراق، الأمر الذى مثل تجاوز القانون الدولى حتى لو كان ذلك بمزاعم إنسانية ولم تعد حالات التدخل

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الجديدة تكترث بالسيادة أو حقوق الإنسان أو تفرق بين العمل العسكرى والسياسى أو الثقافى، وتجاوز التدخل الأمريكى تغيير الأنظمة الحاكمة التى لا ترضى عنها أمريكا، إلى الرغبة والعمل على تغيير جزئى فى عقليات الأجيال العربية القادمة نحو مزيد من القبول للسياسات الأمريكية.

ويتضمن التقرير الاستراتيجى مقدمتين، إحداهما قصيرة كتبها رئيس تحرير التقرير، تليها مقدمة ثانية طويلة فى ٢٤ صفحة، كتبها الأستاذ السيد ياسين، بعنوان «نحو مبادرة حضارية عربية» لم تتضمن جديدا، وتبدو إلى حد ما خارج سياق التقرير، فهى أقرب لمجموعة مقالات طويلة، ترصد ما يسمى «الأزمة الثقافية العربية. وتقدم تذكيرا مكررا حول أزمة الديمقراطية فى الوطن العربى من خلال إثارة الندوة بهذا الاسم ثم شيوع اللا مبالاة السياسية بين الجماهير المقموعة، وأزمات المجتمع المدنى العربى، والفجوة بين ثقافة النخبة والثقافة الشعبية، وأزمة الهوية إلى آخر الثنائيات التقليدية التى تريد قول كل شىء وفى النهاية لا تقول شيئا».

التقرير جاء فى خمسة أبواب. التفاعلات الدولية ثم التفاعلات الاقليمية، والصراع العربى الإسرائيلى، والنظام الاقليمى العربى ثم الحالة فى مصر سياسيا ومدنيا واقتصاديا.

تحت عنوان «العرب والمسلمون بعد هجمات سبتمبر

يفرد التقرير الاستراتيجى بابا يضم ٨ فصول، ويعتبر أن أزمة هجمات سبتمبر مثلت واحدة من أبرز أزمات النظام الدولى فى فترة ما بعد الحرب الباردة، حيث أثرت على علاقة الولايات المتحدة والعالم من خلفها بما سمته الإرهاب الدولى، وداخليا أثرت على صياغة النظم الأمنية الأمريكية الداخلية لمواجهة التهديدات الخارجية. كما ألقت بآثارها على الحركة الإسلامية، بكل فصائلها المسلحة والسلمية والدعوية والجهادية وألقت بظلها الاقتصادى أمريكيا ودوليا.

ويشير إلى التحالف الدولى الذى أقامته الولايات المتحدة على عجل ووظفت فيه جميع سلطاتها الدولية كقوة عظمى للانتقام بمن اتهمتهم بارتكاب هجوم سبتمبر وما رافق ذلك من تهميش للقانون الدولى والاستناد إلى القوة الأمريكية فى تركيز التفويض باستخدام القوة بقالب دولى، واعتبر أن التهديد الذى تعرضت له الولايات المتحدة الأمركية هو تهديد للأمن والسلم الدوليين، وهو ما تبدى فى القرارات التى أصدرها مجلس الأمن بإدانة العمليات وشجب الإرهاب وتسويغ أية إجراءات تتخذها الولايات المتحدة الأمريكية، وقد تبلورت الإجراءات فى عدة محددات منها التوجه الآحادى لإدارة بوش مع تصاعد الأفكار الخاصة بالحروب الدينية وصدام الحضارات وغياب مفهوم أو تعريف محدد لماهية الإرهاب من خلط وعدم تمييز بين الإرهاب والمقاومة المشروعة للاحتلال، خاصة فى فلسطين والدول العربية المحتلة.

ويشير التقرير إلى أن إدارة الأمريكية استغلت الاعتداءات سبتمبر لشن هجوم سياسى على المختلفين مع سياساتها، وكما فعل أسامة بن لادن فى تقسيم العالم إلى مؤمن وكافر قسمت أمريكا العالم إلى محور للشر وآخر للخير، ومعسكرين واحد للديمقراطية وثان للإرهاب، كما عملت إدارة بوش على تأمين دعم خارجى لموقفها بما يضمن غطاء سياسيا ومعنويا وتم توظيف الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، وامتصاص الاعتراضات الأوربية التى دعت لتمهل وتقديم أدلة نهائية ضد المتهمين، من تهديد الدول المعترضة غير التابعة، فضلا عن تأمين دعم روسى بالإغراءات والتهديد استنادا لضعف الحالة الروسية،

فضلا عن تطويع باكستان والهند وتأمين المساهمة التركية وتعاون سلبى مع إيران التى بالرغم من قطيعتها الدبلوماسية مع أمريكا، فقد تم تحييدها.

واستمر الحزن الأمريكى للقانون بعد سقوط طالبان وفى التعامل مع الأسرى، حيث تم انتقالهم فى

جزيرة جوانتامو ووسعت الولايات المتحدة من حملتها العسكرية، وعادت بعد الانتهاء من تدمير طالبان إعلان حربها على الإرهاب والتلويح بضرب العراق، كما امتدت الحملة إلى اليمن، واتجه مؤشرها إلى الصومال، حتى أعلن بوش عما أسماه محور الشر الذى ضمه العراق وكوريا الشمالية وإيران عن حيازتها، لأسلحة دمار شامل دون أن يقدم دليلا واحدا.

وبعد تلك التسوية السياسية للأزمة الأفغانية، التى حرصت خلالها الولايات المتحدة على صياغة حكومة ما بعد الحرب فى إطار موال، حتى ولو تم ذلك فى شكل مؤتمرات مارست فيها أمريكا والاتحاد الأوروبى ضغوطا ـ العصا والجزرة ـ لضمان مرونتها لإرساء توازن انقسام السلطة فى أفغانستان.

ويشير التقرير إلى أن أمريكا حاولت تقديم صورة مثالية عن كيفية تحقيق أهدافها، لكن الممارسة الواقعية للسياسة الخارجية الأمريكية لا تتفق مع هذه الصياغات المثالية حيث تحرص على صيانة الأمن الأمريكى بالمعنى الضيق حتى لو جاء على حساب الحلفاء والأصدقاء، وتحرص على تحقيق الرفاهية الاقتصادية لشعبها بغض النظر على أى أضرار قد تتعرض لها المصالح الاقتصادية للدول الأخرى، واهتمامها بنشر الديمقراطية جاء بما يخدم مصالحها المباشرة، ولم تتورع أمريكا عن دعم ومساندة الديكتاتوريات فى العالم الثالث طالما هذه النظم تضمن المصالح الأمريكية.

وينتقل التقرير إلى أكثر القضايا الاقليمية سخونة، حيث يشرح موقف وموقع الحركة الإسلامية بعد هجمات ١١ سبتمبر على أمريكا. ويستعرض فى ٣ فصول مهمة الحركة الإسلامية والإسلام فى النقد والإعلام الغربى، ثم مستقبل الجماعات الإسلامية بعد الأحداث.. وترجع أهمية هذه الفصول إلى أنها ترصد بشكل واضح مواقف المؤسسات الرسمية أو غير الرسمية من الأحداث، وتحاول تحديد الآثار المباشرة وغير المباشرة للأحداث عليها، فضلا عن محاولة دراسة مستقبل الجماعات الإسلامية على ضوء هذه الأحداث وأفعالها وردود أفعالها، الأمر الذى يضفى أهمية على هذه المنطقة، ويجعلها تقترب أكثر من الرؤية المستقبلية استنادا إلى الواقع.

ويشير التقرير إلى أن المسلمين وجدوا أنفسهم بعد الهجوم السبتمبرى على الولايات المتحدة فى موضع الاتهام بهجومهم، وأن هناك تصميما أمريكيا على توجيه أصابع الاتهام لهم إجمالا ودون تحديد طرف

بعينه، حتى بعد حصر الاتهام فى تنظيم القاعدة وأسامة بن لادن ـ بدون أدلة مؤكدة ـ ظل سيف الاتهام معلقا على رقابهم، وانعكس فى إجراءات مصادرة وحصار وحظر على مؤسسات ومنظمات إسلامية أهلية وغير أهلية داخل وخارج الولايات المتحدة، مع ما رافق ذلك من خلط شبه متعمد بين الجماعات المتهمة، أو تلك الخيرية وبين الدعوية والجهادية. وفى حين حرصت القوى الإسلامية على تنوع اتجاهاتها على ضبط النفس والإسراع بدرء الاتهام الأمريكى، كانت مشاعر الغضب والسخط على السياسات الأمريكية قد اتخذت طريقها للشارع المسلم والعربى، وبدا بن لادن ـ تحت ضغط الظلم الأمريكى فى صورة البطل والمخلص

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

ويستعرض الجزء الخاص بالحركة الإسلامية ردود الأفعال المختلفة من قبل الجماعات الإسلامية التى أعلنت رفضها للاتهامات الأمريكية، ففى حين أعلنت طالبان التى كانت حاكمة فى أفغانستان رفض تسليم بن لادن، ثم أعلن السماح له بمغادرة البلاد. وفى حين أعلنت حركة الجهاد الإسلامى فى فلسطين معارضها لاستهداف المدنيين على اختلاف معتقداتهم، وحملت السياسات الأمريكية مسئولية الاعتداءات.

فى حين أن حزب الله اللبنانى أسفه لقتل الأبرياء في كل مكان ودعا للوعى والحذر من تعميم الاتهامات ويرى التقرير أن هناك قواسم مشتركة فيما بينها، أهمها عدم الاقتناع التام بالاتهامات الأمريكية للقاعدة وبن لادن لغياب الدليل. كما أنها أدانت قتل الأبرياء والسياسة الأمريكية، لكن لم يصدر عنها إدانة حركة لبن لادن، وهو ما يعتبره التقرير موقفا لا أخلاقيا فى الشكل لكنه يتسق مع علاقة الجماعات الإسلامية بالولايات المتحدة ورفضهم لظلمها فضلا عن عجز الولايات المتحدة عن تقديم دليل واضح باتهام القاعدة وبن لادن.

المؤسسة الرسمية فى مصر والسعودية التى لم تخرج عن إدانة الهجوم والدعوة لعدم الخلط بين المقاومة والإرهاب بكما يرصد الجدل الذى دار بين عدد من الشخصيات الإسلامية نقله حول التحالف لدول إسلامية مع أمريكا ودول غير إسلامية فضلا عن قتل المدنيين مع تابين المقاومة جواز مشاركة الجنود المسلمين فى الجيوش غير الإسلامية لمحاربة مسلمين.

وفى النهاية يرى التقرير أن مواقف الحركة الإسلامية من جماعات رسمية وغير رسمية كشفت عن أن المسلمين ممثلين في كل الاشكال التنظيمية يعرفون ما يريده الطرف الآخر، ولا يعرفون ما يريده هم، حيث كان القاسم المشترك رفض الاتهام في المسلمين وتوجيه النقد للسياسات الامريكية، وكان ذلك رد فعل دون تقديم بديل أو مشروع واضح يتجاوز مساحة رد الفعل، كما غلب منطق الدفاع والتبرير للرؤى الاسلامية في مثل هذه المواجهات مع الغرب، وهو ما بدا أقل كثيرا من حجم الضغط الخارجى للتأثيرات السلبية التي لحقت بصورة الاسلام المسلمين ونفس الامر في رد الفعل اعلاميا وجماعيا الذي لم يتجاوز الدفاع، وظهر تباين في مواقف الجماعات الاسلامية من مواقف دولها الرسمية المعادون في التحالف الامريكى بين رافض ومؤيد، كما ساد الاتفاق علي تعرض الجماعات الاسلامية العنيفة لضربات قوية. مع سيادة اعتقاد بضرورة اختفاء الجماعات الاسلامية المسلحة، في حين أدي العداء للسياسات الامريكية الي الدفع نحو تحالفات سياسية بين القوى والاتجاهات المعادية للسياسات الأمريكية بغض النظر عن الاختلافات الايديولوجية بين هذه القوى وبعضها. واخيرا أن القضية الفلسطينية وجدت نفسها محشورة قسرا وعنوة في هجمات سبتمبر حيث التصقت منذ البداية في ذهان الرأي العام، وبدأ أن الظلم اللاحق بها من جانب إسرائيل وامريكا هو سبب رئيسى لتأميم الصراع بين الاسلام والغرب.

وينتقل التقرير لمناقشة موقع الاسلام والمسلمين في الاعلام والفكر الغربى، ويتطرق الي الصورة المشوهة التي حاول الاعلام الامريكى والغربى تصديرها الي العالم والتي وردت في احدى خطابات بوش حول الحرب الصليبية وتصريحات رئيس الوزراء الايطالى بيرلسكونى القاسية والمتعالية والجاهلة حول تفوق الحضارة الغربية عن الحضارة الاسلامية، مع سيادة التصريحات المعادية، وتركيز الكثير من وسائل الاعلام الغربى علي تصدير صورة أحادية مقولبة للاسلام والمسلمين دون تميز، ومحاولة الاتجاهات الرسمية الاوربية للتحقيق في هذا العداء واعلان احترامهم للاسلام وهو مالم يتجل في تصرفات تناسب ذلك حيث تواصلت حملات الكراهية الغربية، فضلا عن الاجراءات الامنية والترصد والاعتقال للعرب والمسلمين، والتضييق عليهم في الغرب وفي امريكا، والمشاركة لصياغة اجراءات وقوانين بدت مضادة للمسلمين أكثر منها للجماعات العنيفة أو تمويل الارهاب. وفي حين لم تكن العدوانية ضد الاسلام هي الرؤية السائدة علي مستوى الرأي العام الاوربى، إلا أن الاعلام الغربي بدا غير محايدة وركز علي صورة العداء وروج لصورة نمطية للعربى والمسلم، وفي مقابل ذلك لم تظهر استراتيجية اعلامية او اسلامية تواجه هذا العداء حيث تبدى عجز وسائل الاعلام العربية عن توظيف امكاناتها الفضائية والاعلامية لاجراء حوار أو نقل صورة صحيحة للاسلام والمسلمين، واقتصرت كل ذلك بخطاب دعائي فج يخلو من القدرة علي مخاطبة العقول والبناء في تجاه متراكم.

ويشير التقرير الي ما اصاب الفكر الغربى من انقسام سادته اعلاميا رؤية تصادم الحضارات وافكار فوكو ياما هنتجنون حول صدام الحضارات واتهام العرب والمسلمين بالفاشية ورفض التقدم ومحاولة عرقلة الغرب وحضارته وحروب المسلمين وباعتبار الصراع حضاري وليس سياسيا جزئيا مع تنميط وقولبة صورة واحدة للعرب والمسلمين بعيدا عن أية اختلافات سياسية أو فكرية وبين جماعات تنظيمات يختلف في رؤاها حتي مع الشعوب الرسمية والفكرية الاخرى.

وادى ان اغلب الحروب التى دارت هي حروب تشارك فيها احزاب المسلمين بينها كانت هناك رؤى أخري مثل بعضها فريد هاليداى الباحث الايرلندي في كتابهع ساعتان هزتا العالم الذي حاول البحث عن اسباب وجذور احداث سبتمبر في الفكر والسياسات الغربية والعالم، والباحث الفرنسى برتران بادي عن خطأ اعداء الاسلام سببا لاحداث سبتمبر.

ومن خلال رصده لمستقبل الجماعات الاسلامية بعد هجمات سبتمبر يرسم التقرير خريطة للجماعات الاسلامية الدينية ويقسمها الي جماعات فعالية ومتشددة سلمية منها التكفير والهجرة وإعادة الدعوة، ثم الجماعات العنيفة، محلية الطابع او الاستقلالية الانفصالية أو الدولية.. واخيرا الجماعات السياسية والاجتماعية، سواء منها الساعية للحكم مثل الجماعات السلمية وتمثال الاخوان المسلمين في مصر والنهضة في تونس وجبهة الانقاذ في الجزائر، ثم جماعات التحرر الوطنى المسلمة مثل حماس والجهاد والفلسطينيين ويتوقع التقرير ان تستمر الظاهرة الإسلامية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية